الا محمد ما اقروا به من كتابه باخفائه وكتمانه فتلك بحجة لهم معروفة لا تنكر اذ من
اختفى بعض كتابه الذي يقر انه من عند الله كيف لا يجحد اصل النبوة ثم احتج عليهم
بانهم قد علموا بالوحي ما لم يكونوا يعلمونه هم ولا اباؤهم ولولا الوحي الذي انزله
الله على انبيائه ورسله لم يعلموا الله ثم امر رسوله ان يجيب عن هذا السوال بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال قل الله اي الله الذي انزله اي
ان كفروا به وجحدوه فصدق به انت واقر به ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

جواب هذا السوال ان الله تعالى ان الله

سبحانه احتج عليهم بما يقر به اهل الكتابين وهم اولو العلم دون الامم
التي لا كتاب لها اي ان جحدتم اصل النبوة وان يكون الله انزل على بشر
شيئا فهذا كتاب موسى يقر به اهل الكتاب وهم اعلم منكم فاسئلوهم
عنه ونظير هذا في القران كثير يستشهد سبحانه باهل الكتاب
على منكري النبوات والتوحيد والمعنى انكم انكرتم ان يكون الله انزل
على بشر شيئا فمن انزل كتاب موسى فان لم تعلموا ذلك فاسالوا اهل
الكتاب واما قوله تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا فمن
قراها بالياء فهو اخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ومن قراها بالتاء للخطاب
فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك اي تجعلونه يا من انزل عليه
كذلك وهذا من اعلام نبوته انه يخبر اهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم
وانهم جعلوه قراطيس وابدوا بعضه واخفوا كثيرا منه وهذا لا يعلم
من غير جهتهم الا بوحي من الله ولا يلزم من قوله تجعلونه قراطيس خطابا
لما حكى عنهم انهم قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بل هذا استطراد من الشيء
الى نظيره وشبهه ولازمه وهذا كثير في القران كقوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الى اخر الاية فاستطرد من الشخص
المخلوق من الطين وهو ادم الى النوع المخلوق من النطفة وهم اولاده
واوقع ضمير الجميع بلفظ واحد ومثله قوله تعالى هو الذي خلقكم من
نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا

خفيفا

١٢١

خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون
الى اخر الايات وشبهه هذا قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا و
جعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا
به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون الى اخر الايات وعلى التقديرين فهؤلاء لم يتم
لهم انكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يقرون به الا بهذا الجحد وا
لتكذيب العام وراوا انهم ان اقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر
تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين وانهم لا يمكنهم الايمان بنبي وجحد
نبوة من نبوته اظهر واياته اكبر واعظم ممن اقروا به واخبر سبحانه ان من
جحد ان يكون قد ارسل رسله وانزل كتبه لم يقدره حق قدره وانه نسبه الى
ما لا يليق به بل يتعالى ويتنزه عنه فان في ذلك انكار ربوبيته والهيته
وملكه وحكمته ورحمته والظن السوء به انه خلق خلقه عبثا باطلا وانه
خلاهم سدى مهملا وهذا ينافي كماله المقدس وهو متعال عن كل ما ينافي كماله
فمن انكر كلامه وتكليمه وارساله الرسل الى خلقه فما قدره حق قدره ومن
عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته كان من عبد معه الجاحد لم يقدره
حق قدره فلم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله
وارسال رسله وانزال كتبه ولا عظمه حق عظمته ولذلك كان جحد نبوة
خاتم انبيائه ورسله وتكذيبه انكارا للرب تعالى في الحقيقة
وجحود ذلك فلا يمكن الاقرار بربوبيته والهيته وملكه بل ولا
بوجوده مع تكذيب محمد بن عبد الله وقد اشرنا الى ذلك في المناظرة التي تقدمت
فلا يجامع الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرار بالرب تعالى وصفاته و
اصلا كما لا يجامع الكفر بالمعاد والنبوة الاقرار بالله بوجود الصانع اصلا
وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في موضعين من كتابه في سورة الرعد في قوله